القرآن الكريم وتقوية التواصل الاجتماعي
دراسة تأصيلية

إعداد:

د. عبد الرحمن حمد عبد الله القحطاني

موجه فني شرعي بإدارة التوجيه الفني العام

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

ليس هناك كتاب في الوجود شملت نصوصه لمفاهيم عقائدية، وآداب عامة وأخرى خاصة، وأصول أخلاقية اجتماعية مثل كتاب الله –تعالى؛ لأن القرآن منهج حياة، وهو يحدد الأسس والمسارات العامة، ثم يترك المجال لتدبر الناس، والذي يلقي نظرة إلى واقعنا الذي نعيشه اليوم يجد ضعفا شديدًا في التكافل والتواصل الاجتماعي، وكلما بعدت المجتمعات عن تطبيق النصوص الشرعية زادت مظاهر الوهن الاجتماعي لديها، ولقد عالجت النصوص القرآنية هذا الضعف والوهن، ونحن اليوم بحاجة للتطبيق تلكم النصوص على أرض الواقع؛ لنكون نحو مجتمع متواصل متكافل، وهذا البحث قد سلط الضوء على النصوص القرآنية التي تحدثت عن التواصل والتكافل الاجتماعي ودراستها، وتوظيف ذلك لحل مشكلة ضعف التواصل والتكافل الاجتماعي، وقد سُمي البحث (القرآن الكريم وتقوية التواصل الاجتماعي: دراسة تأصيلية).

الكلمات الافتتاحية: القرآن: Quran – الكريم: The Holy – تقوية: the strengthening – التواصل: communication – الاجتماعي: social.

Abstract:

included doctrinal concepts, public etiquette and other private and moral and social principles such as the Book of God Almighty because the Qur'an is a way of life, and it defines the foundations and general paths, then leaves the room for people to contemplate, and who looks at our reality in which we live today finds a severe weakness in solidarity and communication The more societies are distant from the application of Sharia texts, the more manifestations of social weakness they have. The Qur'anic texts have dealt with this weakness and weakness.

Today we need to implement these texts on the ground in order to be towards a continuous, interdependent society, and this research has shed light on the Qur'an texts that talked about communication and social solidarity, studying them, and employing that to solve the problem of poor communication and social solidarity, and the research was called (The Noble Qur'an and Strengthening Social Communication An original study).

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]

والصلاة والسلام على القائل: "**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**"(١)، وعلى آله، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب لا يظلم المسلم المسلم (٢٤٤٢)، (١٢٨/٣).

فليس هناك كتاب في الوجود شملت نصوصه لمفاهيم عقائدية، وآداب عامة، وأخرى خاصة، وأصول أخلاقية اجتماعية مثل كتاب الله –تعالى؛ لأن القرآن منهج حياة، وهو يحدد الأسس والمسارات العامة، ثم يترك المجال لتدبر الناس، بل أمرنا الله –تعالى– بتدبر كتابه الحكيم في أكثر من آية، والتي تفرض على بني البشر أن يسود بينهم التواصل والتكافل من أجل تقوية أواصر المجتمع، وصيانته من الانحراف، فالمجتمع يلجأ إلى التواصل مع أفراده لتلبية رغبات واحتياجات مادية، ومعنوية، وفكرية، ونفسية، والله –تعالى– جعل ذلك التواصل فطرة جبلِّيَّة في النفس البشرية، فلا يستطيع الإنسان الاستمرار في الحياة منفردًا، بل لابد أن يحتاج إلى من يتواصل معه، ويساعده، ولا تقوم حياة الناس إلا بتعاونهم فيما بينهم، فأحوال الناس متفاوتة في الأوضاع المادية، والأحوال المعرفية، ولا بد من تحقيق التوازن بين فئات المجتمع المختلفة للقيام بالمهام المطلوبة منهم دون خلل أو تقصير.

والذي يلقي نظرة إلى واقعنا الذي نعيشه اليوم يجد ضعفا شديدًا في التكافل والتواصل الاجتماعي، وكلما بعدت المجتمعات عن تطبيق النصوص الشرعية زادت مظاهر الوهن الاجتماعي لديها، ولقد عالجت النصوص القرآنية هذا الضعف والوهن، ونحن اليوم بحاجة للتطبيق تلكم النصوص على أرض الواقع؛ لنكون نحو مجتمع متواصل متكافل، وهذا البحث قد سلط الضوء على النصوص القرآنية التي تحدثت عن التواصل والتكافل الاجتماعي ودراستها، وتوظيف ذلك لحل مشكلة ضعف التواصل والتكافل الاجتماعي، وقد سُمي البحث **(القرآن الكريم وتقوية التواصل الاجتماعي: دراسة تأصيلية)**.

وتتجلى **أهمية دراسة هذا الموضوع** في أن هذا النوع من الدراسات يتفق واتجاهات العصر، ويظهر شمولية القرآن الكريم في شتى جوانب الحياة الإنسانية على العموم، والاجتماعية على وجه الخصوص، كما تربط بين منهج القرآن الكريم في التكافل والتواصل بتقوية صلات المجتمع، وتلبية حاجاته وحاجات الفرد من خلال الارتباط بالقرآن الكريم.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، والموضوعي، والتحليلي.

خطة الدراسة:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

تمهيد: دواعي التكافل والتواصل الاجتماعي ومفهومه.

المبحث الأول: مجالات التكافل الاجتماعي.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التكافل الفردي.

المطلب الثاني: التكافل الأسري.

المطلب الثالث: التكافل الجماعي.

المطلب الرابع: التكافل الإنساني.

المبحث الثاني: مظاهر التواصل والتكافل الاجتماعي.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: كبار السن.

المطلب الثاني: الصغار والأيتام.

المطلب الثالث: الفقراء والمساكين.

المطلب الرابع: صاحب الجوار.

المطلب الخامس: الضيف والغريب.

المطلب السادس: الجيل القادم.

المبحث الثالث: مظاهر ضعف التكافل والتواصل الاجتماعي وعلاجها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن الناس والتكبر عليهم وعلاجه.

المطلب الثاني: سوء الظن بالآخرين وعلاجه.

خاتمة البحث: تضمنت بعضًا من أهم نتائجه.

فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد

من الضروريات البشرية التواصل والتكافل بين الأفراد والمجتمعات؛ وذلك للأسباب التالية:

١- طبيعة الإنسان، والغاية التي خُلق لأجله، وهي عبادة الله -تعالى، قال الله -تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦]، ثم عمارة الأرض، قال الله -تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، والعبادة، والعمارة تستلزمان فهم خطاب الوحي، والذي يحتم على العبد التواصل مع الرسل، ومع غيرهم.

٢- حاجات الإنسان الاجتماعية: الإنسان يلجأ إلى التواصل مع الآخرين؛ لإثبات الذات، وتحقيق رغباته واحتياجاته مع احترام الآخرين وتقديرهم، قال الله -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولكل من التكافل والتواصل مفهوم تعارف عليه.

المبحث الأول

مجالات التكافل الاجتماعي

المطلب الأول: التكافل الفردي:

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، **(كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)** [الطور: ٢١]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، لذلك يسعى جاهدا إلى تزكيتها، وتهذيبها، وإصلاحها، ودفعها إلى الخير، وحجزها عن الشر، ودفعها إلى التطوّر؛ حتى تصل إلى كمالها المقدر لها، قال الله –تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ – ١٠]، كما أنه مسئول عن حفظها، ورعاية صحتها، وتمتعها في حدود المباح، قال الله –تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص: ٧٧]، وكذلك هو منهي عن إتلاف نفسه، وإضعافها، وتعذيبها، وقتلها بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال رسول الله ﷺ: "**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا، فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**"(١).

كما يحرم عليه تعاطي كل ما يؤثر على صحته أو عقله، فإن من المقاصد العامة الضرورية للشريعة الإسلامية حفظ النفس، والعقل، والمال، قال الله –تعالى– في الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب باب شرب السم وما يخاف منه (٥٧٧٨) (١٣٩/٧).

فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١]، والنفس الإنسانية بحاجة إلى التكافل والتصالح مع ذاتها؛ حتى لا تتبع هواها.

والقرآن الكريم عُني بتكافل الإنسان مع ذاته؛ ليكون ذلك نظامًا لتربية نفسه، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، وليكون نظامًا لتكوين الأسرة، وتنظيمها وتكافلها، ونظامًا للعلاقات الاجتماعية، بما في ذلك العلاقة التي تربط الفرد بالدولة، وفي النهاية نظامًا للمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: التكافل الأسري:

وهو رعاية الإنسان لوالديه، وإخوته، وزوجته، وأولاده، ويمتد هذا التكافل ليشمل كل ذوي الأرحام، قال –تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يُمسكها، والأسرة هي لبنة من لبنات المجتمع، وفيها ينشأ الأبناء؛ لذا اهتم القرآن الكريم لأن تكون هذه اللبنة صالحة من أساسها، ولتحقيق ذلك شرع لنا منهجا واضحا لتقوية التكافل بين أفراد الأسرة، فمن صور التكافل الأسري في القرآن الكريم:

١– حسن الاختيار لشريك الحياة، قال الله –تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقد وجه الرسول ﷺ الزوج في كيفية اختيار الزوجة، فقال: "**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**"(١).

ووجه المرأة عند اختيارها للزوج، فقال -عليه الصلاة والسلام: "**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**"(٢).

٢- الحث على تنمية المودة والمحبة بين الزوجين، قال الله -تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١].

٣- حفظ الحقوق بين الزوجين: قال الله -تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨].

٤- الحث على المعاملة الحسنة بين الزوجين في حال الاتصال، وفي حال الانفصال، ففي الأولى قال الله -تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:١٩]، وفي حال الطلاق قال الله -تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ [البقرة:٢٣١]، وقد كان رسول الله ﷺ خير الناس معاشرة لأزواجه، وأحسن الناس رفقًا بهن، وكان يمازحهن، ويساعدهن في أعمالهن، ويسامحهن فيما يبدر منهن من أخطاء، وقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب (٩٠٥٠) (٧/٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين (١٤٦٦)(١٠٨٦/٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه (١٠٨٥)(٣٨٦/٢)، وقال: هذا حديث حسن، غريب.

قال رسول الله ﷺ: "**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**"(١)، وقال رسول الله ﷺ: "**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا كَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**"(٢).

٥- وجوب الإنفاق على الأسرة من قبل الزوج؛ ذلك لأن المرأة داخلة في ولاية زوجها، فهو مسئول عنها بالنفقة في حال الزواج، وفي الطلاق، ففي الزواج قال الله -تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[الطلاق:٧].

وفي حال الطلاق فإن النفقة والسكن واجبة عليه طوال فترة العدة، كما أنه يدفع لها ثمن إرضاعها لابنه منها حال طلاقها، قال الله -تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ [الطلاق:٦].

٦- الاعتناء بالأولاد رعاية وتربية: تكفل القرآن الكريم بحقوق الأولاد كاملة منذ الولادة، ومن ذلك النص على استكمال الرضاعة، قال الله -تعالى: ﴿* وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢٣٣﴾ [البقرة:٢٣٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب (٣٨٩٥)(٧٠٩/٥) في فضل أزواج النبي ﷺ، وقال: حديث حسن، صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٥/١).

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة (١١٦٢) (٤٥٧/٢)، وقال: هذا حديث حسن، صحيح. وصححه الألباني في السلسلة (٣٧٥/١).

مما سبق يتبين أن القرآن الكريم حافظ على الأسرة من الانهيار والتفكك، وقوى أواصر الترابط بين أفرادها بفرض التكافل بينهم، بادئا بأرباب الأسر، رجالًا، ونساءً بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

وهذه الوقاية تضمنت أنواعا من التكافلات، كالتكافل التعليمي، والتثقيفي لأفراد الأسرة، كما تضمنت تحمل الزوجين للمسئولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها، كل بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها.

قال رسول الله ﷺ: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**"(١).

المطلب الثالث: التكافل الجماعي:

لقد أقام الإسلام تكافلًا مزدوجًا بين الفرد والجماعة، فأوجب على كل منهما عددًا من المسئوليات والتبعات تجاه الآخر، لتربيتهما على أسس دقيقة من التوازن، والتعاون، فمازج بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة، بحيث يكون تحقيق المصلحة الخاصة مكملًا للمصلحة العامة، وتحقيق المصلحة العامة متضمنًا لمصلحة الفرد، فالفرد في المجتمع المسلم مسئول عن حفظ النظام العام، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع، أو يعطل بعض مصالحه، قال الله – تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١].

كما أن القرآن الكريم أمر الفرد بإجادة أدائه الاجتماعي، بأن يكون وجوده فعالًا ومؤثرًا في المجتمع الذي يعيش فيه، فحمل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المرأة راعية في بيت زوجها (٥٢٠٠)، (٣١/٧).

وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال الله –تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة:٢].

وهذا التعاون المطلوب يشمل الأسرة، والجيران، والأصحاب، والرفيق في السفر، والمنقطع، والغريب، واليتيم، والمسكين، وكل ذي حاجة في المجتمع الإسلامي، وقد قال رسول الله ﷺ: "**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"(١). وقد بيَّن الرسول ﷺ حال أفراد المجتمع في تماسكهم وتكافلهم بصورة تمثيلية رائعة، حيث قال ﷺ: "**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"(٢).

المطلب الرابع: التكافل الإنساني:

أعني به التكافل بين بني آدام على اختلاف مللهم.

البشر مزيج من أفراد متباينين في الملل والنحل، ومن عظمة الدين الإسلامي العناية بما يكفل الحياة الكريمة لكل إنسان؛ لذا فدائرة التكافل والتواصل فيه تشمل بني البشر كلهم، عربيهم، وأعجميهم، مؤمنهم، وكافرهم، فديننا لا يمانع من أن ينضم في مجتمعه غير المسلم، بل يأمر بحمايته، فإذا فات غير المسلم رابطة الإيمان وأخوة الدين فلن تفوته حماية المسلمين، وعدل الإسلام، وتكافل المجتمع الإسلامي، فعلاقة المسلمين بغيرهم داخلَ بلادِ الإسلامِ تقوم على التسامحِ، والإحسانِ، والبِرِّ، وحُسْنِ المعاشرة، وتحقيقِ العدلِ، وإقامة القسط، وهي من صور التكافل والتواصل بين الناس، ويتضح ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم، منها:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، (٦٠٢٦)، (١٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تواد المسلمين وتعاطفهم (٨٦/٢٥)، (١٩٩٩/٤).

١- قال الله -تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات:١٣]، الآية تضمنت إثبات الصلة الرحيمة التي تربط الناس جميعا، وما ينبني عليها من تعاطف، وتواد، وتراحم، وتكافل، وتواصل، فبالرغم من اختلافهم في الأجناس، والألوان، والأديان؛ فإن بينهم وحدة مترابطة، فالخطاب هنا مصدّر بنداء الناس عمومًا، فهو موجه لكل إنسان؛ لأنه يقع التفاخر بالأنساب من كل إنسان، والخطاب للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، فلا بد للمسلمين -إذن- من التعارف مع غيرهم، ومن التعاون مع كل من يجنح إلى التعاون معهم على ما فيه خير الإنسانية عموما، وخير الإسلام خصوصا، وقد جاء في الآية التي سبقت هذه النهي عن السخرية بالناس، والازدراء بهم، وعن اللمز، والتنابز بالألقاب؛ لأنهم جميعًا من أب واحد وأمّ واحدة، فكيف يسخر الأخ من أخيه. ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾، وبطونًا، وأفخاذًا، وفصائل، وشعوبًا، وقبائل، وعائلات، وأُسرا؛ لحكمة التعارف المقتضي للتعاون والتكافل؛ إذ التعاون بين الأفراد ضروري لقيام مجتمع متكافل متصالح(١). وفي التفسير(٢): "﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾. أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب".

فالقرآن الكريم دعا الناس جميعًا للتعارف والتآلف ونهاهم عن التفاخر بالأنساب، ونسخ القوميات والأجناس، فالناس جميعا رحم واحد لتقوية التكافل والتواصل بين أفراده(٣).

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٣٤/٢٧).

(٢) ينظر: تيسير المنان للسعدي (٣١٢/١).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير (٢١٩/٣)، وزهرة التفاسير (٨٠٢/١).

٢- قال الله -تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨]، الآية صريحة بموادعة أهل الذمة المسالمين غير المقاتلين، فحث على إكرامهم، وبذل الجهد في برهم والإحسان إليهم. قال المفسرون: "عنى بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم، وتصلوهم، وتقسطوا إليهم. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: "إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم"(١)، وقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين، قال الله -تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان:١٥].

دلت الآية أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة؛ وإن كان الولد مسلمًا"(٢)، فأيُّ عظمة بعد هذا التشريع التكافلي لتقوية الصلات؟!

وهذه الآية الكريمة بما تضمنتها من قيم اجتماعية دينية كفيلة بتقوية صلات المجتمع، ومد جسور التكافل والتواصل الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦٢/١٢)، ومن صور التكافل معه دفع شيء من أموال الزكاة المفروضة، ودفع الكفارة الواجبة إليهم، والتصدق عليهم، فقد روى أبو عبيد أن بعض المسلمين كان لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، يريدوهم أن يسلموا، فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[البقرة: ٢٧٢]. أخرجه أبو عبيد في الأموال ح (١٣٢١)، وابن زنجويه في الأموال ح (١٨٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة (١/ ٣٨٩).

(٢) ينظر: فتح الباري (٥/ ٢٣٤)

٣- قال الله -تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[المائدة:٨]، الإسلام جاء بتأليف القلوب، وحملها على الحق والعدل، فأمر به بين البشر عمومًا، وخصَّ بمزيد تأكيده العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، ويستدعي العدل الاعتراف بالفضل لذويه، وهو القانون العالمي الدولي الذي يسود المجتمعات البشرية كلَّها، عدل في كل ميدان، وقسط يكفل الحق لكل الناس، ولو كان من غير المسلمين، ولو كان من الأعداء والمناوئين .

وإذا ألقينا نظرة على دولة الإسلام آنفا نجد نبوغ عدد من العلماء، والأدباء، والأطباء، والنابغين في مختلف الفنون والأعمال من غير المسلمين، وما كان لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا التكافل الإنساني في الإسلام، وسماحته ونبذه للتعصب الديني.

فالإسلام قد جعل العدل فوق كل شيء، فهو يزن بالقسطاس المستقيم بين الكافر والمسلم، والعدو والموالي والمعاهد، فهم جميعا في نظره أمام العدالة سواء، يقول -تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل:٩٠]، وقال -تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨]، هكذا على الإطلاق بين الناس على اختلاف الملل، والنحل، والديانات، والأجناس ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، ولا تميلوا إلى مسلم لإسلامه، ولا على كافر لكفره، ولا تميلوا إلى ولي لولايته، وعلى معاد لعداوته، ولا تميلوا إلى غني لغناه، ولا على فقير لفقره، قال -تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ [النساء:١٣٥]، والمعنى: روضوا أنفسكم على طاعة خالقكم، وعودوها على التزام الحق والعدل، واجعلوا ذلك شأنكم في جميع الظروف والأحوال، فلا يكفى أن تلتزموا الطاعة والعدل مرة أو مرتين، وإنما الواجب عليكم أن يكون التزامكم لذلك في كل أوقاتكم وأعمالكم[١].

٤- قال الله -تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ [التوبة:٦٠]، أمر القرآن الكريم ورغَّب بالصدقة على غير المسلمين، وجعل كفالة الذميين ضمن نظام التكافل الإسلامي.

والتاريخ شاهد لصور كثيرة من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل، أو كبير السن، وغير ذلك[٢].

(١) ينظر: التفسير الوسيط (٧٢/٤).

(٢) ينظر: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، للدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى واليه عدي بن أرطأة: "وانظر من قِبَلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب؛ فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه". أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال ح (٩٤) وانظر: الأموال، ابن زنجويه (١/ ١٦٩)، وقد سجل هذه الرعاية الفريدة المستشرق بارتولد في كتابه "الحضارة الإسلامية": "إن النصارى كانوا أحسن حالًا تحت حكم المسلمين؛ إذ إن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل". تاريخ أهل الذمة في العراق، توفيق سلطان، ص (١٢٤).

المبحث الثاني

مظاهر التواصل والتكافل الاجتماعي

المجتمع يضم فئات متباينة في الاحتياج، منها ما هي أحوج إلى التكافل الاجتماعي بمفهومه الخاص، وهذا ما أتناوله في المطالب الآتية.

المطلب الأول: كبار السن:

يمر الانسان بمرحلتين من الضعف أولا وآخرا، فالأولى يعقبها قوة وعنفوان.

ومرحلة الضعف الثانية تتطور إلى ضعف، وضعف شديد يفقد معه الإنسان الكثير من نشاطه وحيويته؛ فيكون فيها محتاجًا لمن يساعده على قضاء كثير من شئونه في الحياة، قال الله –تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم:٥٤].

لا يبلغ الانسان من الكبر عتيا إلا وقد قدم التضحيات التي تسببت في ضعفه من أجل الجيل الناشئ؛ لذا جاء التوجيه القرآني بعناية خاصة لكبار السن، واعتبرهم مستحقين للكثير من الرعاية، وأحاطهم برعاية تخفف عنهم وطأة الشيخوخة، بعكس ما يحدث في المجتمعات الغربية المعاصرة، حيث ضعفت مكانة المسنين فيها؛ لضعف التكافل بينهم، وانتشار مظاهر تفكك الروابط الأسرية والعاطفية بين أفراد العائلة، فيهجر الأبناء المسنين، ويقسوا المجتمع عليهم، ويتذمر منهم، فيشعرون أنهم عالة على المجتمع، وأنهم دون نفع في الحياة، وتزداد الأمراض النفسية بينهم، والانهيارات العصبية، وحوادث الانتحار، ولا يلقون الرعاية الكافية من عائلاتهم، فيعيش أغلبهم في دور العَجَزة، في حين أن المجتمع

الإسلامي لم يعرف مسألة تسليم مسنيها إلى دور الْعَجَزَة إلا في مراحل متأخرة جدًّا(١).

وجاء التوجيه القرآني بتقوية الصلة بالمسنين برعاية الوالدين، فأمر الأبناء بالإحسان إلى الوالدين مطلقا، قال الله –تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف:١٥].

وخص الله حالة الكبر بمزيد من الأمر بالإحسان، والبر، والعطف، والشفقة والرحمة؛ لتغير الحال عليهما بالضعف، والكبر، والعجز، فكِبرُ السن يقود إلى اضمحلال القوة البدنية، وضعف الحواس، أو فقدان بعضها، وعدم القدرة على أداء ما كانا يفعلانه قبل ذلك، وإصابة النفس بالأمراض كما يصاب الجسد، وكل ذلك أو بعضه يوجب رعاية هذا المسن، والعناية الفائقة به، مما يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضب الولد على الوالدين، وأقل المكروه ما يظهر بتنفسه المتردد من الضجر، وقد أمر الله بحمل التعب والنصب، وعدم التبرم، وأن يقابل الوالدين بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب، قال الله –تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣].

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي (١٢/١٨٨٥).

فكبير السن أدى ما عليه، وبقي الذي له؛ لذا كانت مسئولية الأبناء عن بر الآباء ورعايتهم مسئولية إلزامية ديانة، وقضاء، بمعنى أن القرآن أوجبها على الأولاد، وألزمهم بها، فإذا قصروا فيها ألزمهم بها القضاء، ولو كان دينهما مختلفًا عن الأبناء، فإن ذلك لا يسقط حقهم، ولا يلغي تلك المسئولية، قال –تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان: ١٤]، وإذا لم يكن لهم أبناء انتقلت المسؤولية إلى المجتمع، متمثلة في الدولة بصورة إلزامية.

ومما يعزز ذلك ما تزخر به النصوص من ترغيب في الخير وفي الإحسان إلى الآخرين، وخاصة العاجزين، بما فيهم كبار السن، والذي ينشئ في النفس المؤمنة دافعًا تلقائيًا إلى بذل الخير طواعية في تلك الوجوه.

وما ينطبق على الوالدين ينطبق على غيرهما من الأقارب والأباعد الضعفاء، قال الله –تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨]، وخير من تمثل لأمر الله –تعالى– من نزل عليه هذا التوجيه، وكان قرآنا يمشي على الأرض، وقد قال –عليه الصلاة والسلام: "**إن مِن إجلال اللَّه –تَعَالَى– إكرام ذِي الشيبة الْمُسلم**"(١).

وقال أيضًا: "**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**"(٢).

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن، صحيح.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة الصبيان، (١٩٢٠)، (٣٢٢/٤)، وصححه الألباني في السلسلة (٢٣٠/٥).

ويأمر النبي ﷺ الناس بتقديم الأكبر سنًا بقوله: "**كَبِّرْ كَبِّرْ**"(١)، وذلك سواء في الحديث، أو المشاورة، أو دفن الأموات، أو إمامة الصلاة، وغيرها، ويقول ﷺ في ترتيب صفوف الجماعة: "**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**"(٢)، والتزم الصحابة الكرام هذا الأدب في منهاج التربية النبوية، فكانوا يقدمون الأكبر سنًا في القول، أو الكلام، أو الإطعام، أو الشرب، وفي غير ذلك.

كل ذلك يدل على التزام هذا الأدب الإسلامي الرفيع باحترام كبار السن وأهل الفضل والمعروف، في مختلف الأحوال والمواقف، ولاسيما وقت اشتداد الحاجة إلى المعونة الطبية التي تساعد على حفظ الجسد، والصحة، والحياة، وتحمي من الوقوع في الضرر وتفاقم المرض، واشتداد البؤس والحاجة.

فجدير بالمسلمين والمسلمات في عصرنا وفي كل عصر رعاية هذا الأدب، حتى يكون المسنّون بحسب ظروفهم وأوضاعهم مثل غيرهم في الرعاية، والعناية، والاحترام، وتوفير الحاجات الغذائية والدوائية، بل الترفيهية؛ لأن كبار السن أحوج إلى هذا كله من غيرهم الذين ينهمكون في مشاغل الحياة، وتساعدهم صحتهم وقوة بنيتهم على تخطي الأزمات، والمحن، وظروف الحياة القاسية(٣).

المطلب الثاني: الصغار والأيتام:

سبقت الإشارة إلى اهتمام القرآن بالصغار عند الحديث عن التكافل الأسري، وإلزامه الآباء برعاية الأبناء، وتربيتهم حتى بلوغ سن الرشد مع القدرة على

---

(١) متفق عليه، ينظر: صحيح البخاري، باب كتاب الحاكم إلى عماله (٧١٩٢)، (٩/٧٥)، وصحيح مسلم، باب القسامة (١٦٦٩)، (٣/١٢٩٤).

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، باب تسوية الصفوف وإقامتها (٤٣٢)، (١/٣٢٣).

(٣) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٢/١٧٩٣)، بتصرف.

استقلالهم بالمسئولية، فإذا فقد هؤلاء الأبناء آباءهم فإن المسئولية تنتقل بشكل متدرج إلى الأقارب القادرين، فإذا انعدموا قامت على المجتمع بأسره.

وقد راعى القرآن الكريم الجانب المادي والنفسي لليتم في الآيات التي أوصت به، وهي على خمسة أضرب:

الأول: آيات جاءت لدفع المضار عن اليتيم، فأمر -سبحانه- بحفظ أموال اليتامى، والسعي في تنميتها، والابتعاد عن كل تصرف ضار بها، قال الله -عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء:٣٤]، وقال -عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء:١٠]، وقال -سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢].

الثاني: جلب المنفعة لليتيم، فالله -عز وجل- يأمرنا بأن نرعى مال اليتيم، وأن نستثمره، ونحفظه، وننفق على اليتيم، فإذا بلغ رشده دفعناه إليه، قال الله -عز وجل: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾[النساء:٦].

الثالث: عدم الإساءة لليتيم في الجانب النفسي، ليس فقط في الجانب المادي، بل في الجانب النفسي، قال الله -عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾[الضحى:٩]، وقال ذامًا أقوامًا: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر:١٧]، وقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾[الماعون:٢].

الرابع: أمر الله –عز وجل– بالإحسان إلى اليتيم، وحسن تربيته، يقول الله –عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠].

الخامس: يعلي الله –عز وجل– في القرآن الكريم من شأن اليتيم، ويبين أن جلب المنفعة له من خصال الصالحين والأنبياء، ففي قصة موسى –عليه الصلاة والسلام– مع الخضر يتكفل العبد الصالح ببناء جدار، والبناء يتحمل فيه الإنسان مشقة وعنتًا، ثم بعد ذلك يعلل ويقول: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢].

والله –جل وعلا– أمتن على الرسول –صلى الله عليه وسلم– الذي ولد يتيمًا، ونشأ يتيمًا، فكان يتمه تشريفًا وتكريمًا لكل مسلم يتيم(١).

وإذا تصفحنا تاريخ الإسلام وجدنا أن كثيرًا من عباقرة الإسلام والمبدعين على أكثر من صعيد كانوا قد فقدوا آباءهم وهم صغار، وما ذلك إلا نتاج ملموس للتوجيهات الإسلامية في هذا الجانب، والتي أصبح المجتمع يقوم بها بشكل طوعي وتلقائي، حتى في الأوقات التي تتخلى فيها الدولة عن واجبها فإن هذه العناية لم تغب؛ إذ قام بها المجتمع، وأقام لها من المؤسسات الخيرية ما يلبي حاجتها.

المطلب الثالث: الفقراء والمساكين:

جاءت النصوص القرآنية بالحض على مواساة الفقراء والمساكين، وبذل العون لهم ماديا، ومعنويا، عن طريق كفالتهم، حيث فرض على المجتمع مسئولية

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن (٥٦٦/٨)، من كلام الشيخ عطية سالم.

فقرائه الذين لا يجدون عملًا، أو لا تتسع مواردهم للوفاء بحاجتهم، وذلك من خلال عدة أمور:

١- فريضة الزكاة التي تتمثل في (٢,٥%) من ثروة المجتمع، تجنيها الدولة كل سنة لتردها على الفقراء، والمساكين، وغيرهم من مستحقي الزكاة الذين حددهم الله -تعالى- في القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠] . أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد لا يخص بها أحد دون أحد، والمعنى: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم؛ لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير مشتق من فقار الظهر، كأنه أصيب فقاره، والمسكين من السكون، كأن العجز أسكنه، والفقير أشد حاجة من المسكين؛ لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها، والمسكين الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته؛ لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم(١).

٢- الترغيب في التطوع والإحسان إليهم، وابتغاء الدار الآخرة والثواب من الله - تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ

(١) ينظر: تفسير السعدي (١/٣٤٠)، ومما يدل على أن الفقير أحوج من المسكين قوله -تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾، فسماهم مساكين مع ملكهم السفينة، وقيل بالعكس؛ لقوله -تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾، وقيل: هما سواء. ينظر تفسير ابن كثير (٤/١٤٥).

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

ويقول –تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[آل عمران:٩٢].

ومثل هذه التشريعات تحقق للمجتمع تواصله، وتكافله، وأمنه الاجتماعي؛ لأنها تشعر الغني القادر بأنه مسئول عن الفقير والمسكين غير القادر على الوفاء بضرورات حياته، فتُنمي الألفة والمحبة بينهم، وتدفع الشرور.

والمتأمل لأوضاع دول العالم من حولنا يجد أن معظمهم يخصص جزءا من المال لكفالة العجزة والعاطلين عن العمل؛ ليعيشوا حياة الكفاف، وبذلك يأمن المجتمع شرورهم، وقد تُفرَض الصدقات من البشر كضريبة اجتماعية، أو غير ذلك؛ لدفع الشرر عن المجتمع، ولكن هذا لا يحدث إلا بعد أن تقع أحداث جسام، يشقى بها مجتمع القادرين من مجتمع العاجزين، ويخرج من يقول: لكي تأمنوا شرهم لابد أن نعطيهم حاجاتهم حتى يستقيم الأمر(١).

(١) وهكذا نجد أن تشريعات البشر لا تأتي إلا بعد أن يشقى المجتمع لفترة طويلة من وضع موجود، ولكن الحق –سبحانه وتعالى– رحمة منه بخليفته في الأرض جاء بالتشريع من أول الخلق، بل من قبل الخلق؛ حتى يرتب للإنسان حياة سعيدة خالية من الشقاء، ولذلك شرع الدين، ورتَّبَ أحكامه لينزل إلى البشر؛ فيكون منهجًا لهم، يحميهم من شرور قاسية قبل أن تقع، ولا شكَّ أن أي مجتمع يحقق هذا التكافل سيكون مجتمعًا سعيدًا، لا يشعر فيه الفقير بذل الحاجة، ولا الغني بمنَّة العطاء. تفسير الشعراوي (٩/٥٢٤١)، بتصرف.

المطلب الرابع: صاحب الجوار:

الجار له خاصية دون الأقارب؛ وذلك للقرب المكاني؛ مما يجعله قادرًا على مساعدة جاره ومساندته في كل الأوقات، ولا يتحقق ذلك مع الأقارب؛ لبعدهم.

لذا جعل القرآن الكريم للجار منزلة عظيمة، فقد قرن الله –تعالى– حق الجار بعبادته، وأكد على بره وصلته، وكف الأذى عنه، وإيصال الخير إليه، قال الله – تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء:٣٦]، والجار ذو القربى: هو الجار الذي قرب جواره. أو: هو الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين، فإن له مع حق الجوار حق القرابة. والجار الجنب: هو الجار الذي بعد جواره عن جوارك من الجنابة ضد القرابة. يقال: اجتنب فلان فلانا: إذا بعد عنه. وقيل: هو الجار الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره، ويقابله الجار ذو القربى(١).

والإسلام أوصى بالجار، مسلمًا كان، أو كافرًا، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة، وكف الأذى والمحاماة عنه، ويشمل الجوار الجار في العمل، وفي السفر، ونحو ذلك(٢)، فعن عائشة، عن النبي ﷺ قال: "**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**"(٣)، وقال –عليه الصلاة والسلام: "**وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ**" قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ

(١) ينظر: التفسير الوسيط (١٤٧/٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٩/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الوصاة بالجار (٦٠١٥)، (١٠/٨)

اللَّهِ؟ قَالَ: "**الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**"(١)، وقال: "**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**"(٢).

وهذا التوجيه القرآني الذي شمل رعاية حقوق الجار هو من مظاهر التكافل.

وقُسمت حقوق الجوار إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١. جار مسلم قريب، له ثلاثة حقوق: حق الجيرة، وحق الإسلام، وحق الرحم.

٢. جار مسلم غير قريب، له حقان: حق الجيرة، وحق الإسلام.

٣. جار له حق واحد، وهو الجار غير المسلم(٣).

المطلب الخامس: الضيف والغريب:

لقد حث الله –تعالى– على الإحسان إلى الضيف والغريب في عدة آيات، قال –تعالى: ﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة:٢١٥]، وقال –تعالى– في آية الحقوق العشرة: ﴿ * وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾، ﴿ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة:٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من لا يؤمن جاره بوائقه (٦٠١٦)، (١٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (٦٠١٩)، (١١/٨).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٧٨/١٠).

ابن السبيل: المسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد، والسبيل: الطريق، وقيل للضارب فيه: ابن السبيل؛ للزومه إياه،

وقيل: هو الضيف[١]، فأكرم الإسلام ضيافته، ورحم غربته، وجعل له سهمًا لبناء بيوت للضيافة وموائد للطعام.

المطلب السادس: الجيل القادم:

أشار القرآن الكريم إلى العلاقة بين أجيال الأمة المسلمة بقوله -سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، وهي صورة إنسانية مثلى للتكافل، يحنو فيها الحاضرون على الخالفين، وتهفو قلوب الخالفين إلى الماضين بالود، وتتحرك ألسنتهم بالاستغفار، فيتحقق بذلك التكافل الشامل لأمر الآخرة والأولى لكافة أجيال الأمة؛ حتى يحمل جيل المستقبل انطباعًا جيدًا عن جيل الحاضر، ويحفظ له مكانته، ويستغفر له، ويحمل له في قلبه أرق المشاعر، وهكذا ينبغي أن يحس جيل الحاضر بهذه العلاقة المتبادلة، وبآثار تصرفاته على من سيأتي بعده، فلا ينتهب الموارد، ولا يبدد طاقات الحياة التي يمتلكها وحده، وهذا يسهم في حل كثير من الأزمات المعاصرة، ويحاصر كثيرًا من الأخطار التي تواجه مستقبل البشرية، والتي نشأت من جراء لهاث هذا الجيل وراء مصالحه دون اعتبار للمستقبل البشرى العام، وهي أخطار ومشكلات كثيرة لعل من أخطرها مشكلة البيئة والموارد الطبيعية، ونجد مراعاة هذا التكافل بين الأجيال في سياسة عمر بن الخطاب ﷺ في أرض السواد، الأرض الزراعية الخصبة في العراق، حينما فتحها المسلمون وأراد الجنود أن يقتسموها بينهم شأن بقية الغنائم، فرفض

(١) روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ينظر: تفسير الطبري (١١/٥٣٠).

هذا الرأي قائلًا: "**إني أريد أمرًا يسع الناس أولهم وآخرهم**"، فقرر أن يضرب الخراج على هذه الأرض، ويتركها في يد عمال يعملون فيها، ويؤدون ضريبة لبيت المال (الخزانة العامة للدولة)، فهو تكافل لا يقف عند تحقيق مصالح الجيل الحاضر، بل يتعدى ذلك إلى نظرة شاملة تضع في الاعتبار مصالح أجيال المستقبل(١).

(١) ينظر: دراسات إسلامية، لسيد قطب – دار الشروق.

المبحث الثالث

مظاهر ضعف التكافل والتواصل الاجتماعي وعلاجها

هناك عوامل أدت إلى ضعف التكافل والتواصل بين أفراد المجتمع أشار إليها القرآن الكريم، وبين علاجها، من أهمها:

المطلب الأول: الإعراض عن الناس والتكبر عليهم وعلاجه:

أكثر ما يفسد ويضعف العلاقات الاجتماعية مع الآخرين الإعراض عنهم، والتكبر عليهم؛ لأن المتكبر يرد الحق ولا يقبله، ولا يذعن إليه، ولا يعترف بخطئه، ولا تقصيره، ولا سوء عمله، فهو معجب بنفسه، والمتكبِّر يحتقر الناس، ولا يرى لهم قدرًا، ويستنكف أن يسألهم عمَّا يجهله، ولا يقبل تعليم من يعلمه، ولا يقبل نصيحة ناصح؛ لأنه لا يراه شيئًا، ويرى أنَّ على الناس أن يلهجوا بالثناء عليه، يأنف من مجالستهم ومحادثتهم، يرى أنه هو الناجي وهم الهلكى، إلى غير ذلك من آثار الكبر وأفعال المتكبرين التي تقطع أواصر المجتمع.

فالعلاقة بين التكبر على الناس وضعف التواصل والتكافل معهم واضحة؛ لأن المتكبر يرى في نفسه القوة والقدرة، ويتضخم عنده هذا الشعور، حتى تجسّم في سلوك مذموم، نفر الناس من حوله، وقد عالج القرآن الكريم ذلك بتوجيه المسلم إلى ذم ونبذ الكبر، وتقوية العلاقات مع أفراد المجتمع، ويتجلَّى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم:

١- قال الله -تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[الأعراف:١٤٦]، ففيها بيان العمى على قلب المتكبر وبصيرته، فلا يَهتدي إلى الحقِّ أبدًا.

٢- قال الله -تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ

﴿٢٣﴾ [النحل: ٢٢ – ٢٣]، بيان لبُغْض الله لِمَن أدَّى به الكِبْرُ إلى الاختيال والفَخْر.

٣- قال الله –تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨ – ١٩]، دَلت الآية على أنَّه لا يَستكبر عن الحقِّ إلا مَن لَم يؤمِن بالآخرة، ويَكفيه خِزْيًا أنَّ الله –تعالى– لا يُحبه، ومعلوم أنَّ الله لا يُكرم إلاَّ مَن أحبَّه، ورَضِي عنه.

٤- قال –تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣]، فيها حُكْمٌ على المتعالين على الناس بِحِرْمانهم من جنة الله ورحمته في الآخرة.

٥- قال –تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر:٣٥]، فيها دَلالة على أن قلوبَ المتكبِّرين مُغْلقة عن الحقِّ وعن النور؛ جزاءً من الله، وعقابًا لهم.

٦- قال –تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠]، ففيها الْحُكم على المستكبرين عن الخضوع للحقِّ بجهنم، يُعَذَّبون فيها صاغرين ذليلين؛ لأنَّ معنى داخرين: صاغرون.

٧- قال –تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٧ – ٣٨]، فيها تَهَكُّم بالمتكبرين، وإشعارٌ لهم بضآلتِهم وتفاهَتِهم، فمَهْمَا استطالوا فإنَّ فوقَهم ما لا يطولونه، ومَهْمَا

دَقُّوا الأرض؛ اختيالًا، وانتفاخًا بالكِبْر؛ فلنْ يَخرقوها، أو يؤثِّروا فيها نتيجة كِبْرهم، بل حَفْنة ترابٍ تُثيرها ريحٌ كفيلة بأن تَغْشى عيونَهم، وتَجعلهم سخريةً للناس.

علاج الاعراض والكبر يكون:

أ/ باستئصاله من القلب، بالعلم اليقيني، ومعرفة المتكبِّر لربه، ولنفسه، واكتساب حقيقة التواضع، فيعرف أنَّ الكبرياء هو لله وحده، لا شريك له، وأن يعرف المتكبِّر قدر نفسه، فقد نشأ من نطفة قذرة، ثم يصير جيفة قذرة، وأنَّ كل ما يملكه من علم، ومال، وجاه، وسلطان هبة محضة من الله –تعالى، ولو شاء لسلبه ذلك، وعلى المتكبر التعري أمام نفسه، ومصارحتها بأسباب إعجابه بنفسه وتكبره على الناس، ثم لينقض تلك الأسباب سببًا سببًا، فإذا كان سببه:

١– العلم الذي عنده فهو قليل جدًّا بالنسبة إلى ما يجهله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء:٨٥]، وهناك من هو أعلم منه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، فلِمَ العجب والكبرياء؟ وأنَّ العلم الحقيقي هو الذي يكسب النفس الفضائل، كالتواضع، ويحجزها عن الرذائل، مثل الكبر.

٢– العبادة، والتقوى، والورع؛ فهي حق الله على العبد، ولا يحق للعبد أن يمُنّ بها على الله، ولا أن يتكبَّر على الخلق لقيامه بما هو حقٌّ عليه، والله هو الذي مكَّنه منها، وهداه إليها ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف:٤٣]، وأي تقوى هذه التي لا تقي صاحبها من منازعة الله حقه الخالص في الكبرياء، ولا تعصم صاحبها من التمرغ في رذيلة أخرجت إبليس من ملكوت السماوات والأرض، وجعلته طريدًا معلونًا إلى يوم الدين، يوم امتنع من السجود لآدم تكبرًا منه عليه، وإعجابًا بنفسه، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:١٢].

وكيف يتكبر بعبادته على الخلق، وهو لا يعلم هل قبلت عبادته أو لا؟ وخاتمته مجهولة، وقد نُهيَ عن تزكية نفسه، قال الله –تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم:٣٢].

٣- المال، والسلطان، والجاه، وقوة الأنصار والأتباع، والتعزز بالأحساب والأنساب؛ فكلها من الأباطيل، وإيحاءات من الشيطان الرجيم، فالمال غاد، ورائح، والسلطان لا يبقى، فالأيام دول، والجاه مثله، وقوة الأنصار والأتباع لا تغني من الله شيئًا: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [التوبة:٢٥]، والتعزز بالأحساب والأنساب يعني تشبثا وتعززا بعظام بالية إن بقيت العظام!! وما يغني[١].

ب/ اكتساب حقيقة التواضع عند مخاطبة ومخالطة الناس:

فيقبل عليهم بوجه طلق، ولا يصعر الخد لهم، وقد وصف الله صنفًا من أهل النار بقوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الحج:٩]، فثناء العطف، والإعراض بالوجه أثناء الحديث كل ذلك يضعف علاقته بغيره، وأنظر إلى رسالة سليمان – عليه السلام إلى ملكة من الملوك: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٣٠ –٣١]، جرد مقالته من كل المقدمات (الملك، الدكتور، المهندس، ٠٠إلخ)، وسطرها بكل تواضع، يشعر بعبوديته لله – سبحانه، فقال بكل يسر وسهولة: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٣٠ –٣١]، ونحو ذلك صدر من رسول الله ﷺ في رسالته إلى هرقل: "**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم**"، وفي أثناء الرسالة ما يشعر بالعبودية؛ إذ فيها: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا

(١) ينظر: أصول الدعوة (١/٣٦٠)، لعبد الكريم زيدان.

﴿يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤]، وكذلك قول عموم الرسل لأقوامهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[إبراهيم:١١]، فهكذا عليك أن تشعر من أمامك بالتواضع له أثناء الحديث، وبخفض الجناح له أثناء الحديث، وقد قال النبي ﷺ: "**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**"(١)، فمن تواضع لله –سبحانه– أعزه الله –سبحانه وتعالى(٢).

فالخلاصة: علاج الكبر أن يرى الانسان نفسه كالناس، وأنهم مثله، ولدوا من أم وأب كما ولد، وأن التقوى هي المعيار الحق، فالتواضع بكافة صوره مؤشر لتقوية أواصر التواصل والتكافل بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: سوء الظن بالآخرين:

التفاعل الاجتماعي مطلب أساسي للتواصل، والتكافل، والتكاتف، وسوء الظن يُفسد ذلك؛ للأسباب التالية:

١– يتسبب في العداوة، والحقد، والبغضاء، والشحناء بين الناس، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة بينهم، قال ابن القيم: "أما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه، فهم معه أبدًا في الهمز، واللمز، والطعن، والعيب، والبغض، يبغضهم، ويبغضونه، ويلعنهم، ويلعنونه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨)، (٤/٢٠٠١).

(٢) قال ابن القيم –رحمه الله– في مدارج السالكين (٢/٣٢١): "ولا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب، وممن تغبض، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك، وإذا لم ترد عليه حقه، فكيف تمنعه حقا له قبلك؟ بل حقيقة التواضع أنه إذا جاءك قبلته منه، وإذا كان له عليك حق أديته إليه، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه، ومن إيتائه إياه".

ويحذرهم، ويحذرون منه، ويلحقه أذاهم خارج منهم مع الغش، والدغل، والبغض"[١].

٢- يتسبب في عدم ثقة الناس بعضهم ببعض؛ مما يؤدّي إلى الفرقة بين العوائل، وتمزّق المجاميع البشرية والإنسانية؛ فيتحول المجتمع إلى مجتمع متفرق، يعيش فيه أفراده حالة الغربة والوحدة من الأفراد الآخرين، ويتعاملون مع بعضهم بالريبة، فآفة سوء الظن من أكثر الآفات ضررًا على استمرارية العلاقات بين أفراد المجتمع، وإضعاف روح الموالاة بين المؤمنين.

لذا أكد القرآن الكريم في عدّة آيات على اجتناب هذا المرض الأخلاقي الفتّاك في الأفراد والمجتمعات، ونهى المؤمنين عن سوء الظن في تعاملهم الاجتماعي فيما بينهم، قال -تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[الحجرات: ١٢]، يقول -تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين، وذلك أن تظنوا بهم سوءا، فإن الظان غير محق، وقال -جل ثناؤه: ﴿ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[الحجرات: ١٢]، ولم يقل: الظن كله؛ إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢][٢]، وقال الرسول ﷺ، قَالَ: "**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا -عِبَادَ اللهِ- إِخْوَانًا**"[٣].

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/١٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٣٢٣).

(٣) أخرجه البُخاري، في صحيحه، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (٦٠٦٤)، (٨/١٩).

وقال –تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[الأنعام: ١١٦].

والظن: التوهم، وعدم التحقيق في الأمور، والحكم على الشيء بدون دليل، وهو تهمة تقع في القلب بلا دليل، والمراد بالنهي عنه هو تحقيق الظن وتصديقه بالقول أو الفعل دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك(١).

وكم أوقع سوء الظن من فراق بين المتحابين، وقطيعة بين المتواصلين؟

وعلاج سوء الظن يكون بالتالي:

١– إدراك خطر سوء الظن كمعصية، وأنه من صفات المنافقين.

قال الله –تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢]، فقد دفعهم سوء الظن إلى القول: اعدل يا محمد، والظن في الآية هو التهمة، كمن يتهم بالفاحشة، أو شرب الخمر مثلًا، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك(٢).

ويقول –تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦]، وفي الحديث القدسي: "**أنا عند حسن ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرًّا فله**"(٣).

٢– إدراك أنه من خصال الكافرين: يقول –تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧]، والمؤمن يترفع عن الاتصاف بصفات الكفار.

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (٣٥٧/٨).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢٦٥/١٦).

(٣) ينظر: الجمع بين الصحيحين (٧/٣).

٣- التخلّص من سوء الظن بالتخلق بحسن الظن، وهو العلاج الرباني الذي ذكره القرآن الكريم في حادثة الإفك، قال الله -تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[النور: ١٢]، روي عن أبي أيوب الأنصاري وامرأته حينما قالت له: "يا أبا أيوب، أسمعت ما قيل؟ فقال: نعم، وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب تفعلين ذلك؟ قالت: لا، والله، قال: فعائشة أفضل منك، قالت أم أيوب: نعم"(١).

واكتساب حسن الظن يكون بترويض النفس عليه، فكل من يسيء الظن بغيره يسأل نفسه: لماذا أزكي نفسي، وأتهم غيري؟ والله -تعالى- يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

ويذم اليهود الذين زكّوا أنفسهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء:٤٩].

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢٨/١٩).

الخاتمة

أبرز نتائج البحث:

١- التكافل الاجتماعي من القيم الإنسانية التي نصَّ عليها القرآن الكريم.

٢- التوجيهات القرآنية لها أثرها البالغ في غرس معنى التكافل بين الأفراد والمجتمعات، وتطبيقها يؤدي إلى تقوية الصلات بينهم.

٣- التكافل أشبه بشجرة مثمرة، إذا غرست جذورها في القلب تكون فروعها وثمارها في المجتمع.

٤- حث القرآن الكريم على تحقيق تكافل المسلمين وتواصلهم مع أنفسهم، ومع مخالفيهم في الدين، فمن صور التكافل في الإسلام مراعاة الإنصاف مع الصديق، والخصم، والمسلم، والكافر، على حد سواء.

٥- مسئولية المجتمع في تحقيق التكافل في ظل التوجيهات القرآنية على ضربين:

الأول: يُطالب به الأفراد على سبيل الوجوب والإلزام، كالزكاة، والنذور، والكفارات، وصدقة الفطر.

الثاني: يُطالب به الأفراد على سبيل التطوّع والاستحباب، كالوقف الخيري، والوصية، والهدية أو الهبة، والتي من شأنها تقوّية روابط المحبّة والودِّ والألفة بين فئات المجتمع، كما هو معلوم بالنص، وبالتجربة.

٦- من أهم العلاقات في المجتمع علاقة الأبناء بالوالدين؛ لذا كان لها مزيد من التوجيه الخاص في القرآن الكريم، لكي ينشأ الأبناء في ظل أبوين رحيمين يولون الأولاد اهتماما بالغا، قبل الولادة، وبعدها، كسوةً، وإطعامًا، وتربيةً، وتنشئةً مستقيمةً، ورعايةً، وتوجيهًا، ومن ثم يأمر الله –تعالى– بالإحسان، وهذا مما ينمي، ويقوي التكافل والتواصل بينهما.

٧- مرحلة الشيخوخة والكبر في الغالب تحتاج إلى رعاية الآخرين، وقد تزداد أعباؤها عليهم، ولربما استدعى ذلك التضجر والتبرم أحيانًا، وهنا يأتي القرآن

الكريم للإنذار والنهي؛ ليؤكد ويقوي صلة الاحترام المتواصل والرحمة والذل أمام الوالدين المسنين خاصة، والمسنين عامة.

٨- التكافل بين أبناء المجتمع المسلم من أعظم مظاهر التعاون والتراحم التناصر: يبدأ هذا التكافل بين الأقارب بعضهم وبعض، كما قال الله -تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾[الأنفال:٧٥].

٩- تتسع دائرة التكافل لتشمل الجيران، وأبناء الحي الواحد في البلد الواحد بمقتضى حق الجوار الذي أكده الإسلام، فقال -سبحانه: ﴿* وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء: ٣٦].

١٠- شمولية التكافل الإسلامي للإقليم كله عن طريق الزكاة، التي تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم، قال -تعالى: ﴿* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[التوبة: ٦٠].

١١- إن من دعائم الدين الأساسية تقوية التكافل بجعل المجتمع كالأسرة الواحدة، يحمل فيه العني الفقير، فلا يحظى برضا الله من لم يقم به، ولا ينجو من عذابه من فرط فيه، قال الله -تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾[البلد: ١١ - ١٨].

فهرس المصادر والمراجع

١- **أصول الدعوة**، لعبد الكريم زيدان أصول الدعوة، جامعة المدينة العالمية.

٢- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، لمحمد الأمين عبدالله الهرري الشافعي، تحقيق: هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤- **تفسير الشعراوي** – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

٥- **تفسير القرآن العظيم** = ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت– ط١، ١٤١٩ هـ.

٦- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ط١.

٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٨- **جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٩- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٠- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١- **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح ابن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي، أبي عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- **الحضارة الإسلامية**، لأحمد عبد الرحيم السايح، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ.

١٣- **دراسات إسلامية**، لسيد قطب - دار الشروق، ١٩٩٥م.

١٤- **زهرة التفاسير**، لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

١٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لمحمد ناصر الدين، بن الحاج الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

١٦- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٧- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٨- **صفوة التفاسير**، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

١٩- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج: محب الدين الخطيب، تعليق:عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٠- **لسان العرب**، لمحمد بن منظور الأنصاري (المتوفي:٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي – ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.

٢١- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢- **مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.**

٢٣- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٤- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، – ١٤٢٠ هـ.

٢٥- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢.

٢٦- **موقع وزارة الأوقاف السعودية.**

٢٧- **الموقع الرسمي لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية.**